الخطبة الأولى

كشفُ الستار
عن أكاذيب الأشرار

أُلقيت بتاريخ ٢٥ يناير/كانون الثاني ١٩٨٥م

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لــه، وأشهد أن محمدًا عبــده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بسْــم الله الــرَّحْمَن الرَّحيم * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صرَاط الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهمْ غَيْر الْمَغْضُوب عَلَيْهمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ (آمين)

﴿وَقَالَت الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ الله وَقَالَت النَّصَارَى الْمَسيحُ ابْنُ الله ذَلــكَ قَوْلُهُمْ بأَفْوَاههمْ يُضَاهئُونَ قَوْلَ الَّذينَ كَفَرُوا منْ قَبْلُ قَــاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّــى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا منْ دُون الله وَالْمَسيحَ ابْــنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمرُوا إلا ليَعْبُدُوا إلــهًا وَاحدًا لا إِلَهَ إلا هُــوَ سُــبْحَانَهُ عَمَّــا يُشْركُونَ * يُريدُونَ أَنْ يُطْفئُوا نُورَ الله بأَفْوَاههمْ وَيَأْبَى اللهُ إلا أَنْ يُتمَّ نُورَهُ وَلَو كَرِهَ الْكَافرُونَ * هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالْهُدَى وَدين الْحَقِّ ليُظْهرَهُ عَلَى الدِّين كُلِّه وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْركُونَ﴾ (التوبة ٣٠-٣٣).

إن الدعاية الخطيرة التي تتذرع بها الحكومة الحالية بباكســتان ضــد الجماعة الإسلامية الأحمدية لها أشكال متعددة؛ فمن ناحية هــي تمــارس ضغطا على المواطنين الأبرياء، وتشترط عليهم - نظيرَ منحها لهم حقوقَهم الأساسية ونجاحهم في قضاء مصالحهم - تكذيبَ سيدنا الإمام المهــدي والمسيح الموعود عليه السلام، محاولةً إعطاءَ تكذيب سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام طابعَ حملة شعبية. غير أن هذه الدعاية ضد الجماعة ليست من تلك الحملات الشعبية التي يقوم بها الشعب برغبة منه، وإنما وراءهــا قانون يُكره المواطنَ كرها على اختيار أحد الأمرين: إما تكذيب ســيدنا المسيح الموعود عليه السلام، أو الحرمان من حقوقه ومنافعه. حتى إنه لا يحق لأي مواطن هناك ممارسة حقه في التصويت ما لم يكذّب سيدَنا الإمام المهدي

والمسيح الموعود عليه السلام. وتوجد أمثلة كثيرة للذين يحتجون على هذا القانون في باكستان، وكذلك بين الباكستانيين المقيمين في الخارج، حيث يقولون علنًا: لا ندري حقيقة الميرزا المحترم، إن كان كاذبًا فعليه كذبه، أما نحن فلا تحمِّلونا إثمَ تكذيبه. ولكن هؤلاء لا يمكن أن ينالوا حقوقهم الأساسية ويحققوا منافعهم الدنيوية إلا بتكذيبه عليه السلام لذلك فإنهم يقومون بالتوقيع على استمارات تكذيبه عليه السلام.

وهناك أسلوب آخر تتبعه الحكومة في دعاية التكذيب والتلبيس هذه، وهو حرمان المسلمين الأحمديين من حقوقهم الأساسية، وتعريضهم لأنواع الاضطهاد بمساندة وتأييد الظالمين.. فالحكومة تقف وراء من ينهبون أموال الأحمديين، وتحمي في ظلها كلَّ من يحاول اغتيالهم. كما تُسقط شهادة الشهود في حقهم، بينما تقبل شهادة الذين يشهدون ضدهم ولو ظلمًا وزورًا.. وهي بالإضافة إلى ذلك تفصلهم عن الوظائف، وتحرم الطلاب المسلمين الأحمديين من حق التعليم، وغيرها من الضغوط والممارسات الكثيرة التي تعاملهم بها الحكومة في حياتهم اليومية، ظنًّا منها أنهم سوف يضطرون لترك الأحمدية في نهاية المطاف. ولكن، وكما يعلم العالم كله، وكذلك أهل باكستان الذين بدأوا يعرفون ذلك أكثر فأكثر.. فإن الحكام رغم كل هذه الوسائل القمعية قد فشلوا في صدّ المسلمين الأحمديين عن الأحمدية، فقد نهض هؤلاء بعون الله تعالى أشدَّ إيمانًا وأكثر إخلاصا. لقد اشتدت رغبتهم في التضحيات، وارتفعت معنوياتهم، وتقوت عزائمهم بما لا نجد نظيره من قبل. فالله تعالى بفضله ورحمته قد أحبط محاولة الحكومة تماما في هذه الناحية أيضًا.

وأما فيما يتعلق بفشلهم الذريع في محاولتهم الأولى فإن جميع التقارير الواردة من أعضاء الجماعة في باكستان تقول بأن كل مواطن غير أحمدي

حينما يوقّع على ورقة تكذيب سيدنا الإمام المهدي عليه السلام فإنه يشعر بخوف ويتساءل: هل تبينتُ أمرَ هذا الرجل الذي أقدمت على تكذيبه أم لا؟ هل اتخذت هذا القرار بعد التأكد من كذبه، أم وقّعت على ورقة تكذيبه مكرَهًا لنيل منفعة دنيوية فحسب؟

هذا الإحساس قد بدأ يتزايد عند عامة الناس هناك في هذه الأيام. وقد أوجد الله تعالى بقدرته وسائل لإيقاظ ضمائرهم لم نستطع إيجادها. فإن عامة الناس لم يكونوا راغبين في التحقق من الأحمدية من قبل، وكان يغلب على معظمهم عدمُ المعرفة، بل الواقع أنه بالرغم من انتماء المسلمين إلى فرق إسلامية مختلفة، فإن عددًا قليلا جدًا منهم يعلمون ما هي عقائدهم، وما هو الأساس لنظريتهم الإسلامية، وما هي الأعمال التي يطالبهم الإسلام بالقيام بها. فقد كانت هناك حالة غفلة تسود المسلمين المنقسمين إلى مختلف الفرق فيما يظهر. ولما كانوا يجهلون أيضا أمرَ الأحمدية فلم يكن لديهم أية رغبة في التحقق من أمر الجماعة الإسلامية الأحمدية. وقليل هم الذين يعارضون الأحمدية لاعتقادهم أنها (والعياذ بالله) كاذبة، بينما كان عدد كبير جدًا منهم قد التزموا السكوت متفرجين فقط، نتيجة لخوفهم من الملات (المشايخ المتعصبين) وضغط العامة. أما الآن ففي كل مكان من باكستان يتكلم الناس عن الأحمدية، وقد بلغت رسالة سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام إلى الأماكن التي لم يصل إليها أحمدي قطّ، ولم يعد أهلهم يطلعون على أمر الأحمدية فحسب، بل إنهم قد بدأوا يشعرون بوخز الضمير أيضا. وذلك لأن الحكومة قد أكرهتْ، حتى الجاهلين منهم بأمر الأحمدية تماما، على اتخاذ قرار لم يكونوا أهلا لاتخاذه. وهذا أدى إلى رغبة الشعب في التعرف على

أمر الأحمدية. وقد بدأت آثاره أيضا تظهر، وقد تمّ هذا بفضل الله تعالى وعونه دونما شك.

وهناك أسلوب ثالث تتبعه الحكومة الباكستانية للدعاية المضادة للأحمدية، وهو نشر وتوزيع الكتب والمنشورات ضدها على نطاق واسع.. فقد وزّعوا المنشورات بمختلف اللغات في كل أنحاء العالم، عن طريق السفارات الباكستانية، أو بطريق مباشر. قاموا فيها بمحاولة تشويه سُمعة سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام كذبًا وافتراء، مما يسبب ألمًا شديدا للجماعة الإسلامية الأحمدية المنتشرة في كل أنحاء العالم، وخاصة للأحمديين المقيمين بباكستان.. حيث تطلع الجرائد بمثل هذه الدعاية الكاذبة ليل نهار، وتنفق الحكومة الملايين على توظيف المشايخ لسب وتكذيب سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، كما تسبّه الحكومة بنفسها وتكذبه بلا أدنى مراعاة لأي منطق أو قانون دنيوي، أو قاعدة إنسانية أو أخلاقية. فقد قاموا بنسجِ حكايات مزورة ضد سيدنا المسيح الموعود عليه السلام بمختلف اللغات، ونشروها بصورة تصيب المرء بالدهشة بأنه في مثل هذا الزمن المتحضر أيضا تُرى مشاهد الانحطاط الأخلاقي إلى هذه الدرجة.

إن صدور مثل هذه الأمور عن رجل عادي يدل على انحطاط أخلاقي شديد، فما بال الحكومة تصدر عنها هذه الأعمال المنحطة. إن الحكومات - الدهرية منها أيضا - تقوم بواجبها الأخلاقي، فتراعي في كلامها بعض الحياء، وتتمسك في حُكمها بالوقار والرزانة عمومًا.. آخذةً في الاعتبار دائما التقاليدَ الدنيوية حتى ضد أعدى أعدائها، ولكن الحكومة الباكستانية هي المثل الوحيد للحكومة التي ضربت بكل المقتضيات الأخلاقية عرض الحائط، وتجاوزت كل الحدود التي تضعها المُثُلُ العليا.

فبدأت تستخدم لهجةَ "الأحراريين" * تلك اللهجة السوقية التي كان الناس يسمعونها في سوق (موجي دروازه) بلاهور، أو في أسواق أمرتسار، أو كنا نسمعها حينما كان الفاتحون الأحراريون المزعومون يهاجمون قاديان. هذه اللهجة السوقية قد اختارتها الحكومة الباكستانية الآن. إن مزاجها، وسلوكها، وأسلوب حكمها قد اصطبغت الآن بهذه الصبغة الأحرارية تمامًا.

هذه هي الصورة التي تظهر بها هذه الحكومة للعالم كله. وإن التهجمَ على الأحمدية وعلى مؤسسها سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، من خلال كيلِ تهمٍ باطلة قد صار الآن عادتها اليومية. فقد نشرت مؤخرا كتيبا سمّته (البيان الأبيض) بعنوان: "القاديانية.. خطر رهيب على الإسلام"، ووزّعته بكثرة في كل العالم. ولقد كنت ذكرت في إحدى خطب الجمعة أنني أنوي، بعون الله تعالى، إلقاءَ كلمة حول هذا الكتيب، وسوف أتناول فيه كل اعتراض والرد عليه بصورة منفصلة. غير أن بعض العلماء وكتاب الجماعة أيضا قد حاولوا الردّ عليه في هذه الفترة، وبعضهم كنت أمرتهم بذلك، فكتبوا بحوثًا جيدة قد أُعِدَّ بعضها للطبع، ولكن وصول هذه المقالات، إلى كل أحمدي صعب، لأن جزءًا من الجماعة غير مثقّفين، وهناك مَن ليس عندهم عادة المطالعة، لذا أرى أننا

* مجلس الأحرار أو الأحراريون طائفة من المشايخ وأتباعهم المتعصبين المتطرفين الذين اشتهروا بولائهم للهنادك في الهند ومعارضتهم الشديدة لفكرة تأسيس باكستان، ومخالفتهم للقائد الأعظم محمد علي جناح مؤسس باكستان حيث كانوا يسمونه "الكافرَ الأعظم". لقد انضم هؤلاء إلى حزب الكونغرس الهندوسي المعارض لتأسيس باكستان كدولة مستقلة للمسلمين. ولكن عندما تأسست باكستان فروا إليها وحاولوا بكل وقاحة الوصولَ إلى الحكم بطرق شرعية وغير شرعية. كما إنهم أعداء ألداء للجماعة الإسلامية الأحمدية، وهاجموا في ١٩٣٤م مركز الأحمدية في قاديان بغية تدميرها بمساندة الحكام الإنجليز. (المترجم)

لا نستطيع الاتصال بأبناء الجماعة على نطاق واسع في هذا الصدد إلا من خلال الخطب. لقد لاحظت فوائد كثيرة في الاتصال الذي يتم عن طريق أشرطة خطب الجمعة باللغة الأردية، ثم أشرطة الخطب المترجمة إلى لغات أخرى بأيدي دعاة الجماعة. إن هذا النظام للاتصال مؤثر جدا. لا شك أن المحاولات العلمية التي قام بها علماء وكتّاب الجماعة في الرد على هذا الكتيب مفيدة جدًا في حد ذاتها، وسوف نستفيد منها أيضا، ولكن كما سبق أن ذكرت، سوف أتحدث أنا أيضا عن هذا الموضوع إن شاء الله تعالى. أما اليوم فأريد كشف الستار عن خلفية هذه المعارضة. وبعدها سوف أتناول باختصار الاعتراضات التي وردت في هذا البيان الأبيض المزعوم، وسوف أردّ عليها بعون الله تعالى في سلسلة من خطب الجمعة أو في أحد الاجتماعات السنوية حيث أجد وقتا أكثر.

خلفية المعارضة

وفيما يتعلق بخلفية هذه المعارضة فيجب أن يعلم الإخوة أنها نتيجة لمؤامرة مخططة، تكشفها سلسلة من المحاولات المضنية من الجهات المعادية للجماعة. الإخوة لا يستطيعون عمومًا الرَبْطَ بين ما حصل من قبل وما يحصل الآن، ولا يعرفون أية حلقة من حلقات المعارضة الحالية متصلة بأحداث سنة ١٩٧٤م.

إن كيفية سير المحاولات المعادية للجماعة سيرًا منظمًا، وظهورها الآن بهذه الصورة لهو الأمر الذي يكشف لنا خلفية هذه المعارضة.

ثم هناك جانب آخر لهذه الخلفية.. يتعلق بالقوى الخارجية أو بالقوى الدينية غير الإسلامية. هناك قوى استعمارية كبيرة تدعم هذه الحملة المعادية للجماعة، ولها نوايا خطيرة جدًا أخذت صورةَ مخططٍ مدبر منذ

سنين. لقد تفاوضوا وتساوموا، وكانوا ولا ينفكّون ينفقون الملايين ضد الجماعة حسب هذا المخطط. إنني أعلم على الأقل ما تم من تخطيطهم منذ عشرين سنة.

ولا ينتهي الأمر إلى هذا الحد، بل إنهم درّبوا الجماعاتِ المعادية لنا تدريبات خاصة، وتدخلوا عن طريقها في مجريات السياسة الباكستانية أيضا.

إن هذا الموضوع يحتاج إلى التفصيل، وسوف أتناوله فيما بعد إن شاء الله تعالى إذا دعت إليه الحاجة.

وكما أسلفت فإن المعارضة الحالية ضدنا لها صلة بأحداث سنة ١٩٧٤م، فلقد كانوا وضعوا في دستور ١٩٧٣م نواة لأحداث ١٩٧٤م، بإدخالِ جملٍ وبنود تلفت الأنظار إلينا، وتمكّنهم من تمييز أبناء الأحمدية عن الآخرين واعتبارِهم مُواطنين من الدرجة الثانية.

وكنت قد انتبهت لهذا الخطر عندما أرادوا الاتفاقَ على هذا القانون وتطبيقَه سنة ١٩٧٤م، كما لفتُّ إليه وقتئذ نظرَ حضرة الخليفة الثالث (رحمه الله) لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام. فحاولتِ الجماعة قدر المستطاع وعلى مختلف المستويات إزالةَ الآثار السيئة لهذا الاتجاه المعاند، ولكن من خلال محاولاتنا تلك أدركنا أن هذا الاتجاه المعاند ليس هو مِن صنع الحكومة وحدها، وإنما هو حلقة من سلسلة مخططات طويلة، وأننا سوف نواجه أخطارا أشد من هذا. وأحداث ١٩٧٤م صدّقتْ مخاوفَنا بصورة واضحة.

هجوم خطير على أساس الجماعة

غير أن هناك فرقا واضحًا بين حكومة ١٩٧٤م وبين الحكومة الحالية، وهو أن تلك الحكومة كانت تتحلى بالحياء، فكانت تستحيي من الشعب، وكذلك من الحكومات الأخرى في العالم. غير أنها لم تكن أقل عداوة للجماعة، وإنما كانت تنفذ مثل الحكومة الحالية مخططَ الهجوم العنيف على أسس الجماعة وهدم بنيانها. ومن هذه الناحية ليس هناك أي فرق بين حكومة بوتو* وبين الحكومة الحالية، ولكن بالنسبة للحياء فهناك فرق واضح بينهما. إن السيد بوتو كان قائدًا شعبيا، وكان يدعي بكونه محبوبًا لدى الشعب. فكان ينوي ألا يفقد شعبيته بفعل ما يتوهم به المواطنون بأنه يريد أن يصبح دكتاتورا يفعل ما يشاء، اللهم إلا ما كان في نطاق الاضطرار الشديد. ولذلك حاول قبل اتخاذ الإجراءات ضد جماعتنا أن يعطي الموقفَ طابعَ محاكمة شعبية، برفع الأمر إلى المجلس الوطني. كما منح الجماعةَ الإسلامية الأحمدية حقَّ الدفاع عن موقفها أمام المجلس حتى لا يعترض عليه العالم الخارجي.

والحق أنه كان ينوي بذلك كسب المزيد من رأي العالم الخارجي، إذ كانت له أمانٍ واسعة وطموحات كبيرة حتى خارج بلده أيضا. فكان لا يرى الكفاية في أن يكون قائد شعبه، وإنما كان يتمنى توسيع نفوذه في المناطق المجاورة ليتألق أمام العالم كقائد الشرق كله مثل باندت نهرو، حتى يعترف العالم بمهارته السياسية.

---

* يعني ذوالفقار على بوتو رئيس الوزراء الباكستاني سابقا وهو والد السيدة بينظير بوتو، أطاح بحكومته الجنرال ضياء الحق بانقلاب عسكري ثم أعدمه شنقا. (الناشر)

هذا ما جعله يستحيي من الرأي العالمي، ويتظـاهر لشـعبه وللعـالم الخارجي وكأنه مضطر اضطرارًا شديدا في أمر الأحمدية. ولكنه مع ذلك لم يخضع لضغوط الناس مباشرة، وإنما رفع القضية إلى المجلـس الـوطني، وأعطى لوفد الجماعة المتكون من إمامها وبضعة أفراد آخـرين فرصـةَ الدفاع عن موقفها. واستهلكت النقاشات قسطًا كبيرًا من أوقات المجلس الوطني. وأخيرًا عندما اتفقوا على اتخاذ قرار باعتبارنا أقلية غير مسـلمة وجد بوتو في ذلك فرصةً ليقول: ماذا أفعل الآن، ليس أمامي أي خيار.

أما الحكومة الحالية فهي عارية تمامًا من ثوب الحياء، فهـي ليسـت حكومة الشعب، كما لا تبالي بالرأي العالمي. إن الدكتاتور في كل حال دكتاتور، لذلك مهما حاول في الظاهر فإن الدكتاتورية تفـرض عليـه نفسها وتُلزمه بعدم الاكتراث بأي شيء مهما كانت النتـائج، ومهمـا صرخ الرأي العام. فمن مزاج المستبدين أنهم لا يحاولون إلا قليلا لكسب الرأي العالمي، فإن كسبوه فبها ونعمت، وإلا فلا يبالون بأي شيء. وهذه النـزعة الدكتاتورية قد ظهرت بكل جلاء ووضوح أيضـا في الدعايـة الحالية ضدنا.

قرار مجلس الشعب

حقًا إن الحكومة في ١٩٧٤م منحتنا قبل إصدار القرار ضدنا فرصـةَ الدفاع عن موقفنا خلال المناقشات التي دارت في مجلس الشعب لأربعـة عشر يومًا، كما قدّمت الجماعةُ موقفها خطيًّا أيضا، ولكن لما كانت تلك الحكومة من الدهاء بمكان، لذلك فقد أدركتْ خلال جلسات المجلـس الوطني نفسها بأن هذه النقاشات لو أُذيعت بين الناس واطلعت الدنيا على الأسئلة والأجوبة الدائرة فيها بكل تفاصيلها، فلن تفلـح الحكومـة في

مخططها، وإنما يحدث العكس، ومن الممكن أن يتعاطف العالم مع الجماعة الإسلامية الأحمدية ويعتبرها مظلومة بدل أن يشيد بهذا القرار الذي اتُّخذ ضدها. ذلك أن الجماعة قد دافعت عن موقفها ببراهين عقلية ونقلية قوية، لا يمكن لأحد بعد الاطلاع عليها اعتبارَ الجماعة الإسلامية الأحمدية خارجةً عن الإسلام.

انتبهت الحكومة لهذا الخطر ومنعتْنا من الاحتفاظ بأي تقرير كتابي أو مسجل للمناقشات التي دارت في البرلمان، كما قررت عدم نشرها. ويمكن تقدير نتائج ومدى تأثير المناقشات الدائرة في المجلس الوطني بالحادث التالي:

سُئل أحد أعضاء ذلك المجلس الوطني الباكستاني مرةً: لماذا لا تنشرون محاضر تلك المناقشات؟ وكما قلتم فإن كل البرلمان قد قرر بالإجماع اعتبارَ الجماعة الأحمدية خاطئةً وخارجة عن الإسلام بسبب عقائدها، فلماذا لا تنشرون كذبها للعالم بنشر التقارير حول مناقشات المجلس الوطني تلك. فضحك وقال: أنت تقول: لماذا لا ننشرها؟ عليك أن تشكرنا، إذ لو نشرناها لدخل نصفُ سكان باكستان في الأحمدية.

وكان قوله "نصف سكان باكستان" تهوينًا من جانبه. الحق لو تم تبليغ موقف الأحمدية إلى المواطنين الشرفاء كما ينبغي فلا أرى أي مانع يحول دون دخول الجميع في الأحمدية، إلا قليلا ممن يُحرمون من الهدى في كل حال، وكتبت عليهم الضلالة للأبد.. ومن يُضلل اللهُ فلا هادي له، فلا بد من مثل هذه الاستثناءات. ولكني أحسن الظن بالأغلبية من باكستان أنهم لو وصل إليهم موقف الجماعة بصورة صحيحة، ولا سيما إلى أبناء الجيل المعاصر الذين يحكِّمون العقل أكثر ويقلدون أقل من الذين قبلهم، لقَبِلَ معظمهم الأحمدية بعون الله تعالى.

مصادرة كتب الجماعة

وقد تحاشت الحكومة الحالية هذا الخطر بشن الهجوم على الأحمدية من طرف واحد، مع عدم السماح لها بالدفاع عن نفسها والرد على اعتراضات الحكومة، بل لم تترك لها الفرصة للدفاع حيث حاولت قبل شن هجماتها على الأحمدية مصادرةَ الكتب والمنشورات الأحمدية التي يوجد فيها الرد على هذه المطاعن.

إن التعارض الصارخ في أسلوب هذه الحكومة، وإن كان يومئ إلى حمقها فيما يبدو، ولكنه في الحقيقة يدل أكثر على ما في نيتها من خبث ومكر. فمن ناحية هم يقولون بأنهم يصادرون كتب سيدنا المسيح الموعود عليه السلام لأنها تجرح مشاعر المسلمين، ومن ناحية أخرى يقتبسون منها جملا مبتورةً تسبب، في زعمهم، تجريحَ مشاعرهم، وينشرونها.

يا لها من غباوة! تقولون: نصادر كتب مؤسس الجماعة لأنها تجرح مشاعر المواطنين وخاصة المسلمين منهم، ثم تعودون وتحلّون مشكلة تجريح المشاعر بإصدار القانون الذي يمنع من نشر ما لا يجرح مشاعركم من كتبه عليه السلام، وأما ما يجرح المشاعر بزعمكم، فإنكم تنفقون أموالا طائلة على نشره وتوزيعه في كل أنحاء العالم!

إنهما لأمران متعارضان فيما يبدو، ولكنهما في الحقيقة نتيجة لمؤامرة شريرة ماكرة للهجوم على الجماعة، إذ إن الاعتراضات التي أثاروها حول مقتبسات مبتورة من كتب سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، جوابُها موجود في الكتب نفسها. وكل رجل شريف عندما يطالع كتبه عليه السلام ويرى السياق والسباق، لا يجد أي مبرر للاعتراض. وهذا بالضبط ما حدث باستمرار في جلسات البرلمان. كان حضرة الخليفة الثالث (لسيدنا

الإمام المهدي والمسيح الموعود) رحمه الله تعالى، قد شرَّفني بالانضمام إلى وفد الجماعة إلى البرلمان. فكنت أنا وزملائي ندهش لما جرى هناك. فكلما كانوا يعترضون على أمر ذَكَره سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام في كتبه، كان حضرة الخليفة الثالث - رحمه الله - يقرأ نفس المقتبس المبتور مع سياقه وسباقه، فكان الاعتراض يزول تلقائيا، حيث كان الحضور يطمئنون مدركين أن هذا الهجوم ليس إلا نتيجة للتحريف الشنيع والحذف المغرض، ولا صحة فيه أصلا.

نعم، في بعض الأحيان كان حضرته - رحمه الله - يقوم ببعض التوضيح للعبارة، كلما دعت الحاجة إلى ذلك، غير أن كتب سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام تشتمل بنفسها على الردود الشافية لهذه الاعتراضات. وأي شك أنه لو أُخذتْ جملة مبتورة وقدِّمت بدون السياق والسباق بقصد التحريف لأدّت إلى تجريح المشاعر. ولكن حضرته عليه السلام لم يقصد ما يُنسَب إليه، بل إنهم يحرفون الكلم عن مواضعه عمدًا بقصد إثارة مشاعر القوم ضده، بينما يخفون عنهم ما كتبناه من الرد. هذه هي الاستراتيجية التي تتبعها هذه الحكومة. فقبل وقوع هذا الحادث بدؤوا بمصادرة الكتب، بل قاموا بإغلاق مطابع الجماعة والدوريات والجرائد.

هذا جبن يدل على الضعف والعجز، وبهذا الأسلوب يكونون قد اعترفوا بهزيمتهم فعلًا. ذلك لأن الخصم القوي في حقل الأدلة والبراهين لا يلجأ إلى استخدام السلاح ومنع الطرف الآخر من إيضاح موقفه بسنّ القوانين. هذا خلاف للعقل ومناف لمصالحه هو أيضا. فكل الجهود التي تُبذَل لشن الهجوم على الجماعة الإسلامية الأحمدية من ناحية، ولمنعها من الدفاع عن موقفها من ناحية أخرى، إنها ولا شك، تشكل دليلا واضحا على جبنهم الشديد واعترافهم الصريح بالهزيمة في مجال الأدلة والبراهين.

فمن جهة يقولون للعالم إن عدد أبناء الجماعة الإسلامية الأحمدية لا يتجاوز ٧٠ أو ٨٠ ألف نسمة فقط، ومن ناحية أخرى يشيعون في الناس أن الأحمدية خطر رهيب يهدد العالم الإسلامي بحيث لا يوجد له نظير من قبل.

حلّ "قضية المائة سنة"

و لم يكتفوا بهذه الدعايات الكاذبة البغيضة فحسب، بل صادروا كتب الجماعة أيضا. ومع ذلك هم يفتخرون بهذه الإجراءات قائلين: انظروا كيف تمكّنّا من القضاء على هذا الخطر! فقد كتبوا في بيانهم الأبيض المزعوم وهم يقارنون بين إجراءات الحكومة السابقة وحكومتهم ضدنا: إنه (أي اعتبار الأحمدية خارجة عن دائرة الإسلام) لمن الإنجازات الكبيرة للبرلمان الوطني حقًا.

أقول: إنه هو نفس البرلمان الذي ألغوه واتهموا أعضاءه كلهم إلا قليلا منهم بأنهم أشرار مفسدون. ومع ذلك اعتبروا عملَهم هذا إنجازًا كبيرًا. ذلك لأن لهم تفكيرًا مثل تفكيرهم، وأعمالا مثل أعمالهم. فقالوا: إن هذا إنجاز كبير لذلك البرلمان إذ قام أعضاؤه بحلّ "قضية المائة سنة". ولكنهم لم يستطيعوا حل "قضية المائة سنة" تمامًا، بل كانت هناك قوانين وقرارات لم تصدر بعد، وإنما كتب الله لنا أن نصدرها. والآن قمنا بإصدارها، وقضينا على هذه الجماعة، واستأصلنا شأفتها. فلا خطر الآن على العالم الإسلامي!

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: كيف قاموا بحل تلك القضية، وكيف حَمَوا المسلمين من ذلك الخطر؟

لقد ردّوا على هذا السؤال في آخر "البيان الأبيض" الحكومي المزعــوم وقالوا: قمنا بحل هذه القضية بإصدار قرار منَعْنَا به أبناء الأحمدية من رفع الأذان، أو الانتماءِ إلى الإســلام.. فــلا يســتطيعون الآن أن ينطقــوا بالشهادتين، أو يكتبوهما، أو يسمُّوا مساجدهم مساجد. لا يمكن لهم الآن أن يقوموا بشعائر المسلمين، أو يعملوا حسب تعاليم القرآن.. انظروا كم نحن مسرورون، وكيف قمنا بحل هذه القضية الخطيرة!

فكأن هذه هي النتيجة التي توصلوا إليها في آخر الأمر. ولكني أقــول: إن للحمق حدودًا. والحمق يتجلى حتى في أعمال الشــاطرين المــاكرين أيضا. ذلك لأن الذي هو خِلو من الصدق يلجأ إلى المكر لتحقيق أهدافه، وبسبب خُلُوِّه من الصدق يتسرب الحمق إلى مكره. والحمق لا بــد أن يظهر للعيان. فكل هذه الأنواع من الحمق والتعارض في أعمــالهم إنمــا ترجع إلى مكر وكذب. إذ لا يمكن أن يؤدي العقل الصــادق إلى هــذه التناقضات الصارخة.

لجأت الحكومة الحالية إلى المكر، وظنت أنها أكثر دهاء من حكومــة بوتو، وقالت: إنه من حمقه سمح للجماعة بالدفاع عن موقفها في مجلــس الشعب. بل لقد كتب هؤلاء في "البيان الأبيض" المزعوم بأنه لا يليق أصلا الحوار مع من يدّعي النبوة، ومن الحمق أن يسعى أحد لإفحامهم بالأدلة والبراهين. لذا إن ما قمنا به هو العلاج الناجع، لا غيره.

فقاموا بنسج سلسلة من الاتهامات القــذرة الخطــيرة ظلمًــا وزورًا. والقرآن يخبرنا أن مساعي الظالمين لن تجديهم شيئا حيث قــال: ﴿فلمــا أضاءت ما حوله ذَهَبَ الله بنورهم وتَرَكَهم في ظلمــات لا يبصــرون﴾ (البقرة: ١٨).. أي الذين يعيشون في النفاق، وتتعارض أعمالهم مع أقوالهم.. ويتكلمون بكلام الحكماء ومع ذلك يأتون بأعمال الحمقى.. أولئــك لا

تنفعهم جهودهم شيئا. إنهم يوقدون النار ولا شك، بنية التفرج على مشاهد معينة، ولكن الله تعالى يحرمهم من التفرج إذ يسلبهم نورَ البصيرة. إنهم يوقدون النار لإحراق الآخرين، ولكن النار نفسها تحرمهم حتى من نور البصيرة، وتتركهم في ظلمات لا يستطيعون فيها الرؤية.

وهذا بالضبط ما حدث بالنسبة لمحاولة الحكومة الحالية ضد الجماعة، إذ جلبتْ على الجماعة خيرًا كثيرًا في حقيقة الأمر، ولن تزال تجلب خيرًا بعد خير، إن شاء الله تعالى. والحق أن الجماعة في هذه الأيام تمر بمرحلة يصدق عليها قول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (البقرة: ٢١٧).. أي في بعض الأحيان تكرهون شيئًا ما وتتأذون به وتتألمون منه، ولكن الله يجعل لكم فيه خيرًا كثيرًا. تمامًا كما تفعلون بالصغار الذين حينما تسقونهم دواءً مرًّا أو تجبرونهم على الحقن فإنهم يبكون ويصرخون ولكن بدون جدوى. تعاملون الصغار هكذا لأن فيه خيرًا لهم. نحن أيضا نبلوكم في بعض الأحيان بأشياء تتألمون منها كثيرًا، ولكنها في آخر المطاف تعود عليكم بخير عميم.

فمن أكبر الفوائد التي جنتها الجماعة مما نشرته ووزعته الحكومة الباكستانية من منشورات قذرة ضدنا في كل أنحاء العالم، أن الناس اتجهوا إلى التحقيق في أمرها. فمن قبل لم يخطر اسم جماعتنا ببالهم، ولكنهم عندما اطلعوا على ما نُشر عنها بدأت الجرائد في كل العالم تكتب عن هذه الأخبار. وبصدور هذا القرار العسكري الغاشم ذاع صيت الجماعة على الأقل عشرين ضعفًا من ذي قبل. ففي أمريكا بل وفي إنجلترا أيضا كانت الأكثرية الغالبة تجهل حقيقة الجماعة تمامًا. وهذا طبيعي إذ كيف يمكن لمركز أو مركزين للدعوة إيقاظُ عشرات الملايين من الناس.. فما كان الناس يولون الجماعة أي اهتمام، ولكن المحن والظروف الصعبة التي

مرت بها الجماعة أدّتْ إلى جلب التعاطف الإنساني العام لها، الأمر الذي شدّ الناس إلى التعرف عليها وفحص أمرها، وذلك عن طريق مطالعة كتب الجماعة وتوجيه الأسئلة والاستفسارات. وبالإضافة إلى ذلك فلقد ساهم كثيرا في ذيوع صيت الجماعة ما نشرته الحكومة الباكستانية ضدها من منشورات جائرة. ذلك أن منشوراتهم لها أسلوب خاص يدرك به كل ذي عقل أن وراء الأكمة ما وراءها. إذ تقول الحكومة من جهة: إن الأحمديين شرذمة قليلون، وإنهم رغم محاولاتهم المستميتة خلال المائة سنة الماضية لم يتجاوز عددهم سبعين ألفًا، ومن جهة أخرى تخافهم هذا الخوفَ الشديد، رغم كونها حكومة قوية تحكم عشرات الملايين، بل وتُعلن بأن الأحمدية خطرٌ رهيب يهدد كيان العالم الإسلامي أجمع.

هذا قول غير معقول ولا يمكن أن يستسيغه كل واحد طبعًا. ولذلك فكل من يقرأ هذا البيان الحكومي يتعاطف مع الجماعة الإسلامية الأحمدية، وإن كان لا يعرف من أمرها شيئًا، أو على الأقل يجد رغبة في التحقيق من أمرها.

دحضُ تهم باطلة

لقد أتاح الله لنا بفضله وعونه فرصة ذهبية كنا حُرمنا منها من قبل. إذ كانت الحكومة السابقة قيدت أيدينا فيما يتعلق بنشر التقارير عن المناقشات التي جرت في المجلس الوطني. أما هؤلاء فكأنهم قد فكّوا الآن هذه القيود بإتاحة فرصة مواتية لنا للرد عليهم.. حيث سرقوا الاعتراضات من سجلات ذلك المجلس ونشروها. كنت حضرتُ هذه المناقشات، وأعلم أن كل هذه الاعتراضات هي نفس التي أثيرت في ذلك المجلس، غير أنهم ذكروا بعضها في البيان الأبيض المزعوم، أما الباقية

فسلّموها إلى مجلة هي في الحقيقة بمثابة مزبلة منتنة لكون لغتها بذيئة منحطة للغاية، وتسمّى "قومي ديجست". ولاً ندري كم أغدقوا على أصحابها من المال. لقد أصدروا منها عددًا خاصًا كله سباب وشتائم قذرة وتهم شنيعة باطلة ضد سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ، ونسبوا فيها إليه أمورًا منحطة للغاية بأسلوب سوقي لا يستطيع قراءتها أي إنسان شريف، ولو حاول قراءتها لعافتها نفسه على الفور، ولرمى بهذه "التحفة النادرة للصحافة السوقية القذرة". ومع ذلك قد أنفقوا الكثير على إخراجها في شكل مجلة جميلة رائعة، وضمّنوها حسب مخططهم كلَّ الاعتراضات التي لم ينشروها في البيان الحكومي.

إن "الأحراريين" في كل يوم جديد ينشرون إعلانات منحطة كهذه.. وهي ليست في الحقيقة إلا أكوامًا من النجاسة القذرة، غير أن الشعب الباكستاني الشريف لا يلقي بها بالا على الإطلاق. أما الحكومة فتهتم بها لدرجة أن وزارة الإعلام تقوم بشرائها وإرسالها إلى السفارات الباكستانية في كل أنحاء العالم، كما لو أن السفارات ليس لها شغل سوى ذلك. عليهم أن يذهبوا ويروا ماذا يُفعل بمثل هذه المنشورات التي يرسلونها إلى السفارات. هذه أيام الشتاء، وليس بمستبعد أن يكون أصحاب السفارات يستخدمونها كوقود لإشعال النار واصطلائها، وغير ذلك من الاستعمال المناسب. أقول ذلك لأن العاملين في السفارات لهم أشغالهم وهواياتهم التي لا يرفعون عنها رؤوسهم. فأنّى لهم أن يعرضوا عن مصالحهم ويصرفوا الأنظار عما يتمتع به أهل أوربا وأمريكا ليضيعوا أوقاتهم في قراءة هذه الأكاذيب من طرف واحد. وكل مَن عمل في حقل الدبلوماسية يدرك جيدا ماذا يجرى في السفارات في الخارج، وما يُفعل بمثل هذه المنشورات. إنهم يلقون نظرة عابرة على صفحة العنوان فقط ويرمون بها جانبا. وهذا

في حد ذاته يُذكّرهم بالجماعة ويقولون في أنفسهم بأنها لا بد أن تكـــون ذات شأن وجديرة بالاهتمام، ثم يستعملون الأوراق كوقـــود لتحضـــير الشاي أو الاستدفاء. هذا هو مدى تأثير المنشورات المضادة لنا، ولكـــن الحكومة مع ذلك تشتري وترسل إلى السفارات في الخـــارج منشـــورات كهذه مليئةً بالسباب والشتائم البذيئة للغاية، وهم يحسبون أنهم يحســـنون صنعًا.

إننا سوف نرد عليها بعون الله تعالى وتوفيقه، ولكن لا يكون ذلك في خطب الجمعة بصفة متواصلة، إذ تجدُّ أمور وضرورات لا بد من تناولها في هذه الخطب. ومع ذلك سوف أقوم بالرد على بعضها - بعون الله تعالى - في خطب الجمعة وعلى بعضها الآخر في خطب طويلة نسبيًا بمناسبات أخرى.

والحمد لله تعالى الذي أتاح لنا فرصة كانت قد انفلتت من أيـــدينا، إذ كنا نريد في سنة ١٩٧٤م توصيل وجهة نظرنا إلى العالم كله وإخبـــارَهم بالأسباب التي أدت بالحكومة الباكستانية إلى اعتبارنا "كـــافرين أو غـــير مسلمين". كان ذلك مستحيلا لأنهم منعونا من ذلك بالقانون. نحـــن لا نخلف الوعد وكنا مضطرين، ولم نتمكن من نشر الرد وتوضيح موقفنـــا بسبب هذا القانون. أما الآن فإن الحكومة الحالية بنفسها قد ألغت ذلـــك القانون عمليا حيث بينت موقفها. والآن سوف نبين موقفنا بأنفســـنا لا غيرُنا، وسوف نوضحه كما نشاء. نوضحه لكل العالم وبكل اللغـــات. إنهم لا يملكون أن يقاومونا، وهم عاجزون عن ذلك تمامًا. لو كان عندهم القدرة على مواجهتنا بالأدلة لأتاحوا لنا الفرصة للدفاع عن موقفنا. فلـــو كانت لديهم جرأة التصدي بالبراهين ما كانوا بحاجة إلى مصادرة كتبنـــا وإيقافِ جرائدنا ومجلاتنا، وإغلاقِ مطابعنا. إنهم جبناء، لا يقدرون على

المقاومة. ولكنهم لن يسلبونا هذه الفرصة للرد عليهم. ولسوف نبلّغ ردّنا على منشوراتهم القذرة إلى كل مكان من العالم بما فيه باكستان أيضا.

إنجازات عظيمة للأحمدية

بعون الله تعالى لن تستطيع أية قوة من الدنيا عرقلةَ طريق ازدهار الجماعة الإسلامية الأحمدية، لأنها جماعة أقامها الله تعالى بنفسه. أما السؤال: إلى متى تستمر هذه الظروف الصعبة بالنسبة للجماعة فأقول، كما بينت من قبل أيضا: الله أعلم بذلك. ومع ذلك أود أن ألفت أنظاركم إلى أمر هام قبل إنهاء خطبتي: إن رسائل بعض الإخوة تُشتمّ منها رائحةُ القنوط واليأس إلى حد ما.. وهذا يؤلمني. ينبغي أن أسميه باسم آخر، غير القنوط، إذ إن أصحاب هذه الخطابات ليسوا قانطين من رحمة الله، ولكن مع ذلك فإن النتيجة التي توصلوا إليها تدل على استعجالهم الشديد في الحكم وقلة الصبر، حيث يظنون أن مشيئة الله تعالى في هذه المحن والابتلاءات مختلفة عما سبق، وأننا ربما نضطر لنقل المركز الرئيسي من هذا البلد (باكستان)، وأن أمامنا شوطًا طويلا من الابتلاءات هذه المرة. ولكنهم مع ذلك متأكدون بأن هذه المحن سوف تسفر في آخر المطاف عن انتصارات عظيمة للجماعة، كما جرت سنة الله باستمرار من قبل.

أراهم قد استعجلوا في هذا الحكم، ولا أرضى بذلك أبدًا. صحيح أن التاريخ يعيد نفسه، ولكن هذا لا يعني بالضرورة أنه يعيد نفسه لفظًا لفظًا، وصورة صورة، واسمًا اسمًا مائة بالمائة. إن التاريخ إنما يعيد نفسه من حيث المبادئ والقواعد. وهذه المبادئ مسجلة محفوظة من عند الله تعالى في القرآن الكريم. فالمبادئ سوف تعاد بلا شك، لأنها سنة الله مع أنبيائه،

ولكن معالم هذه السنة قد تكون مختلفة من زمن إلى آخر، بمعنى أنه يمكن أن تختلف معالم هذه السنة بحسب اختلاف سيرها عمليًا. فالحكم بأن وقوع حادث يعني بالضرورة كذا وكذا لَحكمٌ غير صائب. فينبغي ألا يستعجل الإنسان ما لم يخبر الله بنفسه وبكل وضوح، أو تجلت مشيئته بحيث لا يمكن إنكارها.

الحق أنه لا مفرَّ من قدر الله تعالى، ولا مناص من مشيئته، ولا سخط – والعياذ بالله – من حكمه، ولكن مع ذلك أوصيكم بألا تستعجلوا في الحكم.. فالاستعجال يؤدي إلى الفتور في دعواتكم، فلن تجدوا نفس الحرارة فيها. سوف تستسلمون وتقولون في أنفسكم: إن مسلسل الابتلاء سوف يستمر طويلا. لا بأس، كذلك جرت العادة. وهذا يُفقدكم الهمةَ والحرارة في الدعوات، ويسلبكم صبغةَ التضرع والخشوع في الابتهالات. وهذه خسارة فادحة يجب على الجماعات السماوية تَفاديها. ولذا أقول إنه لن يُصيبنا إلا ما كتب الله لنا، ولا مبدل لكلماته، ولكنكم لماذا تستسلمون وتثبّطون من هِممكم في الدعوات والابتهالات. إن الجندي الشجاع هو ذلك الذي يصمد في ميدان القتال.. يتلقى طعنات العدو بصدره ولا يولي دبره.

مما لا شك فيه أن أحدًا لا يقدر على محاربة مشيئة الله وقدره، ولكن الله تعالى بنفسه قد علّمنا طريقًا لمواجهة قدره، وهو الدوام على الدعوات والابتهالات بكل خشوع وتواضع، لأن القدر الإلهي الخاص بالدعوات المتواضعة أيضا قدر مستقل في ذاته وجارٍ باستمرار. والله تعالى يخبرنا بأن قدره هذا يصل في بعض الأحيان من القوة بحيث يتغلب على قدر إلهي آخر فيبدّله. إن المعجزة العظيمة التي حدثت في الجزيرة العربية قد كتب سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام محلّلا إياها وقال: إن معاملة

القوم مع النبي ﷺ كانت تقتضي نتيجةً حتمية واحدة فقط لا غـــير.. أن يُهلَك القوم كلهم، وأن يُجعَل سافل أرضهم عاليَها. كانوا أشدَّ جرمًا من قوم نوح، وأحقَّ منهم بالعقاب، بحيث كان ينبغي ألا يترَك أحد منـــهم حيًّا. وإن ما وقع لـــه في سفره ﷺ إلى الطائف من حادث مؤلم للغايـــة وما أخبر به الله رسولَه بواسطة الملائكة، إنما يتضمن نفس الســـر ويـــبين نفس الحكمة، وكأن الله تعالى قال بصدد هذا الحادث: إن مشيئتي تقضي بهلاك الأعداء عند كل سلوك سيئ، ولكن أمانيك القلبيـــة يـــا محمـــد، ودعواتك الحارة وابتهالاتك الشديدة أيضا تصـــنع قـــدرًا سماويًـــا، وإن مشاعرك ودعواتك، يا محمد، أهم من أي قدر آخر، لـــذا لـــن أعامـــل قومك، ولن أنفذ فيهم قدري الآخر إلا بعد استشارتك. وما هو ذلـــك القدر السماوي الآخر يا تُرى؟ إن هو إلا قوله تعالى لرسوله ﷺ: إنك قد تحملت الكثير من أذى القوم، فلو كنت ترى إبادهم لأمـــرتُ الملائكـــة ليُطبِقوا جبلين على قرية الطائف حتى لا تبقى لهم باقية.

هذا حادث صغير يُظهر لنا قدرًا إلهيًا خفيًّا. ولكن سيدنا محمدًا ﷺ لم يكن يحظى بحب الله تعالى في ذلك الوقت فقط، كما لم يكن هو الحادث الوحيد الذي تعرض فيه للإيذاء في سبيل الله تعالى، وإنما كانت المصائب تُصبّ على قلبه في كل آن، وكان يضحي بروحه في سبيله ﷻ في كـــل يوم حيث عبَّر عن ذلك القرآن الكريم: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ (سورة الأنعام: ١٦٣). وهذا يعني أنه ﷺ في كل يوم كان يموت في سبيل الله تعالى، وفي كل يوم كان الله تعالى يحييه. وهذا هو القدر السماوي الذي لم يزل جاريًا باستمرار، وفي المقابل لم ينفك الـــنبي ﷺ عاكفًا على الدعوات بلا انقطاع. وكما يقول سيدنا الإمام المهـــدي والمسيح الموعود عليه السلام.. فإن القدر السماوي الذي صنعتْه دعوات الـــنبي

ﷺ المستجابة في السماء صار قدرًا غالبًا في آخر الأمر. فكتب الله حياة أبدية لقومه الذين كان إهلاكهم قدرًا مقدورًا.

إنكم أنتم الأحمديون تدينون بسيادة هذا السيد وتدّعون بحبه ﷺ لذا فعليكم باتباع خطواته. فلا تتمنوا هلاك القوم مستعجلين. إنما عليكم بالابتهال إلى الله تعالى لنجاتهم وحياتهم. تقبَّلَ الله دعواتِنا، وهدى القوم إلى الصواب.

(أُلقيت بتاريخ ٢٥ كانون الثاني/يناير عام ١٩٨٥م في مسجد "الفضل" بلندن)